# معرفة العبد ربه

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

**أما بعد:**

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فالنَّعيم في اتِّباع الهدى، والشقاء في موافقة الهوى.

**أيها المسلمون:**

خلق الله الخلق لتكون الطَّاعة له والتذلُّل إليه، وكمال السعادة في معرفة الله والإيمان به، ومعرفة العبد ربه هو الأصل الأول الذي يجب على الإنسان معرفته، وهو أول ما يُسأل عنه العبد في قبره، أوجد الله الخلق بعد عدم، وأغدق عليهم من النعم، وضمن لهم الرزق ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود: ٦]. أوجد العالمين بعد أن لم يكونوا شيئاً ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسَان: ١]، ربّ متفرد بالخلق والرزق والتدبير ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعرَاف: ٥٤]. متفرد بالوحدانية، متصف بالعظمة والجبروت، مقاليد الأمور كلها بيديه، قوي متين، قاهر فوق عباده، لا يرضى أن تصرف العبادة إلا له ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ

وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزُّمَر: ٧]، نصب في كل مخلوق آيةً دلالةً على وحدانيته، ليزداد تعلّق القلب بربه، آيتان تتعاقبان علينا تذكرنا بوحدانية الله، ليل يغشى ونهار يتجلى، يطلب كل منهما الآخر طلباً سريعاً ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعرَاف: ٥٤]، والشمس والقمر يجريان في مسار دقيق، أبهر ذوي العقول، هذه تشرق وذاك يُدبر، سيرٌ منتظم لا يتقدم ولا يتأخر ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يَس: ٤٠]، أرض تُقِلُّنا وسماء تُظِلُّنا، لا غنى لنا عن أحدهما، خلق متقن وتدبير من بديع ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمَان: ١١].

والمسلم يعتزُّ إذا كان عبداً لمدبر هذا الكون العظيم ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعَام: ١٦١]، لا يعبد إلا ربّ هذا الكون جلّ وعلا، ولا يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره، يلجأ إليه في الملمات، ويخاف منه وحده في العلانية والخفيات ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعَام: ١٧]، فلا يخاف من ميت أن يضره بسوء أو يرجو منه إحساناً.

والفزع إلى الله وحده رجحان في العقل، وأمان في القلب، وطمأنينة على الروح، ومن خاف ربه لم يفزعه أحد بل هو ثابت القلب ساكن الجوارح، وأنعم بنفس لا تأنس إلا مع الله ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥]، يقول أبوسليمان الداراني ـ رحمه الله ـ: «ما فارق الخوف قلباً إلا خرب». وأقرب العباد إلى الله أخوفهم منه يقول النَّبي ﷺ: «**إني أعلمكم بالله، وأشدكم له خشية**» (متفق عليه)، وهو من لوازم الإيمان وموجباته، ومن خاف ربه وحده فتحت له أبواب الجنان قال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: ٤٦]، قال أهل العلم: «لا يجمع الله على عبده بين خوفين، فمن خافه في الدُّنيا أمّنه يوم القيامة، ومن أَمِنه في الدُّنيا ولم يخف ربه أخافه في الآخرة»، فراقب ربك وخف من خالقك؛

تكن أسعد الخلق عند الله، ولا ترجُ من غير الله تحقيق مرغوب أو سلامة من مرهوب، من: زوال علة، أو شفاء سُقْم، أو طلب رزق، أو جلب عافية، وحقق رجاءك بالله دون سواه فالخلق مجبولون على الضعف، عاجزون عن جلب النفع لأنفسهم ودفع الضر عنهم، وهم أعجز عن ذلك لغيرهم، وما رجا أحد مخلوقاً إلا خاب ظنه فيه، فلا تعلق أطماعك وأملك بغير الله، فلن تجني سوى العدم وذُلّ المسألة، وارج كرم الله وعطاءه وجزيل مننه، فرجاء ما عند الله تعبُّد، وفي ذُلِّ القلب لله عزة النَّفس ورفع الدَّرجات وتحقيق المأمول.

وراحة النَّفس في تفويض أمرها لخالقها، ويزداد تعلقها ببارئها إذا تذكرت أن الربَّ عليم بحالها، رحيم بأمرها، قدير على كشف ضرها، ولِمَ التعلّق بمخلوق عاجز عن كشف الضرِّ قتورٍ في العطاء؟! وربك كافيك جميع أمورك، وهو متوليها إن ألقيت إليه حاجاتك وسلَّمت إليه مقاليد أمورك ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطّلاق: ٣].

والسَّعيد هو الراغب في رحمة الله، الراهب من عذابه، الخاضع المتذلل في عبادته لمولاه، وتلك المحامد السَّنية اتصفت بها بيوت الأنبياء، قال سبحانه عن زكريا عليه السلام وأهله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، والرسل سبّاقون إلى الرغبة فيما عند الله، قال سبحانه لنبيه محمَّد ﷺ: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٨]، وهي تنحسر عن العبد على قدر ذنوبه، وتزيد بزيادة إيمانه قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «إذا أراد الله بعبده خيراً، وفَّقَه لاستفراغ وسعه وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه، فإنهما مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق».

والخشية من المخلوق ذُل ومهانة، ومن خشي من خالقه عاش عزيزاً، وفي حياته سعيداً، وأنار بصيرته فكان متذكراً، قال سبحانه: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠]، واتعظ بالمواعظ والعبر قال جل وعلا:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٦]، وكان كتاب الله له سعادةً وذكرى ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٢، ٣]، وهي موجبة لمغفرة الله وجزيل نواله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]، فاجعل ربَّك بين ناظريك، ولا تأمن من مكره وحلول عقوبته، ولا تخش غير الله في قطع رزق أو تأخر شفاء أو حلول شقاء قال سبحانه: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠].

والعبد ضعيف بنفسه مفتقر إلى عون ربه القوي، وبالاستعانة به جلَّ وعلا تستغني عن الاستعانة بالخلق، ومن سعى في تحقيق مطلوب ولم يكن مستعيناً بالله مفتقراً إليه في حصوله، أُغلقت في وجهه الدُّروب وتعسرت أمامه المكاسب، يقول النَّبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**يا غلام: إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**» (رواه الترمذي). والاستعانة عليها مدار الدِّين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وبها أَمر الرُّسل أقوامهم ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ [الأعراف: ١٢٨]، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «الدِّين أن لا يعبد إلا الله، ولا يستعانَ إلا به»، وكمال غنى العبد في تعلقه بربه، ومن فضل الله على عباده أن من تعلق به أعانه، والرزق يتيسر بالطاعة والاستعانة، ويزداد بالتوكل والاستكانة، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

والحياة مليئة بالآفات والمكاره قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، ولكل مخلوق أعداء من الجن والإنس، وفي مقدمتهم إبليس ـ لعنه الله ـ، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، ولا غنى للعبد من الاحتماء بجناب الله، والاستعاذة به وحده، والاعتصام بحماه من الشرور، والربُّ متصف بالجبروت والعزة، من

اعتصم به لم ينله أذى أحد، وتخلف عنه الضرر ولو مع وجود السبب، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التَّامات من شر ما خلق، لم يضرَّه شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**» (رواه مسلم). قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه فلم يضرني شيء إلى أن تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلاً، فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات».

والمخلوق يتعرض للأذى، ولن تهنأ حياته إلا بالاعتصام بالله واللياذة به، فالضرر والنفع كله بيد الله، ومن سعى للإضرار بك لم يتحقق له مناه ما لم يشأ الله ذلك، قال النَّبي ﷺ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**» (رواه الترمذي). وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يستعيذ بخالق الإصباح من شر جميع المخلوقات، ومن شر الغاسق والحاسد، والقادر على إزالة هذه الظلمة عن الكون، قادرٌ أن يرفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه، والمعتصم بالله المستعيذ به في كل شأن في حصن مكين من أهل الشرور والماكرين.

وربُّنا لا مفزع لنا في الشَّدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه، والمستغيث بالله المستجير به يطرق أخص أنواع الدعاء، والاستغاثة بالربِّ العظيم مفزع الأنبياء والصالحين في الشدائد والمكائد، قال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وقال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]. ومن دعا الأموات فنداؤه لا يُسمع، وحاجاته لا تُرفع، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]، فإذا حللت بك الخطوب، واشتدت بك الكروب، فاستغث بعلام الغيوب ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وإفراد الله بأفعال العباد نقاء في المعتقد، وسعادة تعمّ المجتمع، وطمأنينة في النفوس.

## أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

# الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

**أما بعد: أيها المسلمون:**

أبواب السعادة والخير تفتح بتعلق القلب بالله، وتغلق أبواب الشرور بالتوبة والاستغفار، وعافية القلب في ترك الآثام، ونعيم الدنيا في انجذاب القلب إلى الله حباً له وخوفاً منه ورجاءَ فضله، فالخوف يبعدك عن معصية الله، والرجاء يدفعك إلى طاعته، ومحبته تسوقك إليه سوقاً. فاجعل أعمالك كلها خالصة لله، قائمة على أكمل الوجوه في الظاهر والباطن، مع اليقين بأن الله مطلع على السَّرائر والنيات، بصير عليم بالخفيات.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .